ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Antithetical Dualities in Omar bin Abi Rabi'ah's Poetry

Omar Mahmoud Abdel

The General Directorate of Education in Nineveh Governorate

* *Corresponding author: E-mail* : omaralabd92@gmail.com

***Keywords*:**
Antithesis
Light
Closeness
Appearance
Darkness

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar 2025
Received in revised form 25 Mar 2025
Accepted 2 Mar 2025
Final Proofreading 29 Dec 2025
Available online 30 Dec 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The concept of antithesis or dichotomy in poetic texts is founded on complex and parallel motivations and contexts, eventually forming a linguistic structure that translates the poet's ideas, psyche, and inner composition based on a critical or emotional philosophical idea, manifesting in literature in general and poetry in particular. This research is a new reading of the poet Omar bin Abi Rabi'ah's work, delving into the linguistic and poetic structure of his texts and uncovering symbolic meanings through antithesis, while exploring the psychological dimensions of the antithesis presented in this research, which we attempted to follow in the poet's work and evaluate its effectiveness in the texts. Since antithesis is present as long as humans exist, such as life and death, and existence and non-existence, we followed the path of antithesis in the poet's collection and identified three distinct sections. The first section deals with the antithesis of closeness and distance, and the potential psychological and emotional conflict it may evoke in the poet. The second section discusses the antithesis of separation and union, explored through the theme of women and its resulting psychological and emotional dimensions. The third section is devoted to the poet's emotional and sensory adventures. We observed the effectiveness of antithesis in Omar bin Abi Rabi'ah's poetry and the poetic and aesthetic characteristics he added to his literary texts, and we assessed the extent of the poet's success in utilizing these antitheses.

© 2025 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.12.1.2025.5

الثنائيات الضدية في شعر عمر بن أبي ربيعة

عمر محمود عبد/ المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى

الخلاصة:

تتأسس فكرة التقابل أو تنافر الدلالي أو ما يعرف بالثنائيات الضدية في النصوص الشعرية بدوافع وسياقات مركبة ومتوازية، لتشكل فيما بعد تكوينا لغويا يترجم أفكار الشاعر ونفسيته ومكونه الداخلي تبنى

على وفق فكرة فلسفية نقدية أو عاطفية تجلى في ذلك من خلال الادب بشكل عام والشعر بشكل خاص، البحث هو قراءة جديدة لنتاج الشاعر عمر بن أبي ربيعة فتناول عبر تعمق وغوص في بنية النصوص لغويا وشعريا، وكشف الدلالات الرمزية بالاعتماد على الثنائيات الضدية والوقوف على الابعاد النفسية من خلال الثنائيات الواردة في البحث التي حاولنا تتبع مسارها في البحث ومعرف مدى فاعليتها في النصوص،إذ إن الثنائيات موجود مع وجود الإنسان مثل الموت والحياة والفناء والبقاء ، من هذه الفكرة تتبعنا مسار الثنائية في الديوان ووقفنا فيها على ثلاث أقسام مختلفة القسم الأول ثنائية القرب والبعد وما يمكن أن تثيره هذه الثنائية من صراع نفسي وعاطفي عند الشاعر،القسم الثاني ثنائية الهجر والوصل، فتناوله من خلال المرأة وما ترتب على ذلك من أبعاد نفسية وعاطفية، القسم الثالث بعنوان ثنائية الضوء والظلام استخدمها الشاعر في مغامراته العاطفية والحسية، رصدنا من خلالها فاعلية الثنائيات لدى الشاعر عمر بن أبي ربيعة وما أضافته من سمات شعرية وجمالية على نصوص الشاعر الأدبية ، ووقفنا على مدى النجاح الذي حققه الشاعر في استعماله لهذه الثنائيات .

الكلمات المفتاحية : الثنائية، الضوء، القرب ، الظهور، الظلام.

المقدمة

إن الثنائيات الضدية آلية من الآليات الشعرية التي وجدت في الشعر سواء أكان القديم منه أو الحديث، وقد أختلف النقاد في تسمية الثنائيات، إذ جاءت تبعا للناقد والمدرسة التي ينتمي لها، وبحسب التوجه النقدي له، شكلت الثنائيات الضدية مادة نقدية وشعرية غنية بالدلالات والأبعاد المادية والمعنوية التي يحددها السياق الخاص بالنص، فضلا عن تمكنها من فك شفرات النصوص ومعرفة البناء الشكلي والفضاءات الي تحكم النص .

وفق هذا المنطلق تقسم البحث على مقدمة وتمهيد تحدثنا فيه عن الثنائيات الضدية في اللغة من خلال الوقوف على الأصل اللغوي للمصطلح في المعاجم العربية وتتبع جذورها والوقوف عليها , فضلا عن ذلك تناول المصطلح من منظور اصطلاحي وتعريف النقاد لهذا المصطلح والاستعمالات التي وضع لهذا ، والكيفية التي استعملها الشعراء والتحليلات المقدسة لهم، انقسم البحث على ثلاث أقسام : تناولنا في القسم الأول ثنائية القرب والبعد من خلال تتبع مسار هذه الثنائية ومدى تأثيرها في المتلقي من جهة والنص من جهة ثانية، أما القسم الثاني جاء بعنوان ثنائية الظهور والخفاء وقد جاءت مع نصوص شعرية شكل فيها الخفاء أو الظهور العنصر الأساس الذي بنى الشاعر نصه عليه، وجاء القسم الثالث من البحث بعنوان ثنائية الضوء والظلام التي تناولنا فيها الكيفية التي صاغها الشاعر للضوء والظلام والدلالات التي أوردها لهذه الثنائية ، والتأويلات التي يمكن للقارئ تأويلها في النص . ثم أختتم البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل لها والتي وقفت عليها الدراسة من خلال النصوص الواردة في

البحث, وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على العديد من المصادر المهمة التي أغنت البحث وسهلت لنا كتابة البحث والتي لا يتسع المقام لذكره، ولا يفوتنا أن نشير إلى أننا اعتمدنا في توثيق المصادر على كتاب (شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة لـ محمد محي الدين عبد الحميد)

الثنائيات الضدية في اللغة والاصطلاح:

الثنائية في المعنى اللغوي:

الثنائية في مدلولها اللغوي من "ثنى : ثنى الشيء ثنيا : رد بعضه على بعض ..، وثنيت الشيء ثنيا: عطفه، وثناه أي كفه ..، وثنيته أي جعلته أثنين، وأثناء الوشاح : ما أنثنى منه ..،والثني الإخفاء"(ابن منظور، ١٤١٤، مادة ثنى) . أما في كتاب العين فقد جاءت الثنائية بمعنى " الثني من كل شيء : ما يثنى بعضه على بعض أطباقا"(الفراهيدي، ٢٤٢/٨) ، يقول ابن فارس أن " الثاء والنون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين"(القزويني، ٣٩١/١) إذ إن الثنائية هي " ما كان ذا شقين "(صليبيا ،٣٧٩/١) من هذا المنظور اللغوي نستدل على أن الثنائيات تدل على ما هو أكثر من واحد مهما كان عدد الثنائيات فهي تدور في محيط الرقم اثنين(ينظر :الديوب ، ٢٠١٧: ٢٣)

أما من المنظور الاصطلاحي فقد اختلفت التعريفات الخاصة بالمصطلح بحسب الانتماءات الفلسفية والنقدية، إذ جاءت الثنائية في المعجم الفلسفي بأنها " القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الاضداد وتعاقبها، أو ثنائية الواحد والمادة ..، أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون "(صليبيا : ٣٧٩)

هناك من ربط الثنائيات بالمنظور الديني فيذهب إلى القول أن الثنائيات وجدت مع بداية الخلق عندما خلق الله تعالى الأرض والسماء واليابسة والماء والهواء وخلق الإنسان آدم "عليه السلام" وحواء وأدخلهما الجنة(ينظر: حسن، ٢٠٠٥، ١٠٦) فضلا عن ذلك فإن البشرية بفطرتها العامة ثنائية التكوين إذ كل شيء في الوجود له ضد فلا وجود للشيء من دون ضده مثل العدل والجور واليقظة والنوم الموت والحياة، هذه هي الطبيعة وقاعدتها التي لا يمكن أن تخالفها (التكريتي ،١٩٧٩، ٢٣).

التضاد في اللغة والاصطلاح :

جاء التضاد في أغلب المعاجم اللغوية بمعنى الخلاف فـ" ضد الشيء وضديده : خلافه "(ابن منظور، ١٩٥٥، مادة ضدد)، ويقال متضادان إذ ضاده وخالفه (ينظر : آبادي ، ٢٠٠٨، ج١: ٢٩٥) ، إذ يكون الضد" النظير والكفء والجمع (أضداد) ..،والضد خلافُهُ، وضادهُ ومضادهُ، إذ باينه مخالفة

والمتضادان اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار" (الفيومي ، ٣٥٩) إذ التضاد بحسب التعاريف التي وضعت له قد يأتي بمعان مختلفة لا تخرج عن الخلاف أو العداوة مع الآخر وعدم التجانس معه والتنافي والتنافر اي بمعنى عدم التوافق (ينظر : التهانوي ، ١٩٩٦، ٤٦٦) .

أما التضاد في الاصطلاح فتعود جذوره إلى سيبويه إذ قال " أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فأخلاف اللفظين لاختلاف المعنيين وهو نحو : جلس وذهب ..،" (سيبويه ، ج١ :٢٤) ومن هنا اخذ اغلب الدارسين هذا التقسيم فمنهم من جمع اللفظ الواحد في معنيين ومنهم من قال أن اللفظ يجيء في معنيين مضادا في الشي وضده (ينظر: قطرب : ١٩٨٤، ٧٠)، وتنوعت واختلفت التعريفات بين النقاد إلى أن قدم الدكتور محمد نور الدين منجد تعريفا وملخصا لكل الآراء التي عَرفت الأضداد فقال أنه " مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تتصرف إلى معنيين متضادين، وعليه فإن الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني من دون أن يتحد فيها اللفظ كالليل والنهار، والطول والقصر، والحياة والموت، لا تعد من الأضداد عندهم بهذا المصطلح" (المنجد ، ١٩٩٩، ٢٦) .

الثنائيات الضدية في المنظور النقدي :

إن للثنائيات الضدية أسلوب وأفكار ودلالات تتداخل في أغلبها مع الجانب البلاغي ومصطلحاته المتشابكة، وهذا ما ذهب إليها أغلب النقاد القدامى الذين ربطوا التضاد مع الطباق والمخالفة والمقابلة، لذلك لم نجد مفهوم التضاد في مصطلح نقدي مستقل بنفسه، وفي هذه الفقرة نحن لسنا في صدد أثبات هل عرف النقاد القدامى هذا المصطلح النقدي أم لا، بل نبحث عن أولى الإرهاصات التي مرت بها الثنائيات الضدية، فقد ورد عند الجاحظ بمعنى التعاكس (ينظر: الجاحظ ٢٠١٧، ٧) . وعند عبدالله بن المعتز بمعنى المطابقة التي تجمع شيئين بجذو واحد (زغلول ، ١٩٨٢، ١٠٥) . أما عند قدامة بن جعفر فيطلق على التضاد التكافؤ وهو بمعنى التقابل (ينظر: قدامة ، ١٤٨) . وعلى العموم لم تخرج التسميات التي أطلقها النقاد القدمى عن الجانب البلاغي في وصف التضاد.

أما من ناحية المنظور النقدي الحديث فقد توسع مفهوم المصطلح وتعددت مفاهيمه خصوصا أن المصطلح تبلورت أهدافه من خلال طروحات البنيوية التي ترى "العالم – من وجهة نظرهم – مجموعة من الثنائيات المتشابكة والمتقابلة، تنعكس على شبكة العلاقات اللغوية، فتحيلها إلى مجموعة من الثنائيات الخالصة " (عبد المطلب ، ١٩٩٥، ١٤٩) . ويعد دي سوسير من أهم النقاد الذين تبنوا مصطلح الثنائيات الضدية إذ جاءت جهوده في دراسة الثنائيات والتقابلات التي تخص الجانب اللغوي مثل ثنائية اللغة والكلام وثنائية التعاقب والتزامن والدال والمدلول وغيرها من الثنائيات اللغوية التي انصبت دراسته عليها (ينظر : دي سوسير ، ١٩٨٥، ٩)، أما فلاديمير بروب فيرى " الوظائف تشكل

مزدوجات أو ثنائيات ضدية ..، فالتحريم يقابله الانتهاك، وحس النقص يقابله إشباع النقص" (أبو ديب ، ١٩٨٦، ٢٦) .

أما النقاد العرب القدامى فقد تأثروا كثير بالأفكار التي طرحها المنهج البنيوي لمصطلح الثنائيات الضدية من هؤلاء النقاد كمال أبو ديب الذي درس نماذج من الشعر الجاهلي مبينا من خلالها الدور الذي تمارسه الثنائيات الضدية في تشكيل البينة للنص الشعري مسيرا بذلك إلى الاندثار والعفاء وما يمكن انت تنتجه من حركة مضادة، إذ تشكل بذلك حركة ثنائية ضدية (أبو ديب ، ٢٦) ، بينما جاءت الجهود النقدية للغذامي منصبة على النص نفسه وما يمكن أن يؤثر فيه عامل الحضور ويمثله النص والغياب الذي يمثل عناصر تكوين النص. فضلا عن ذلك نجد الكثير من النقاد المحدثين الذي تبنوا فكرة الثنائيات الضدية وقدموا الكثير من النماذج الأدبية من خلال دراسات تطبيقة شعرية لا مجال لحصرها وذكرها .

ثنائية القرب والبُعد:

القرب من الناحية اللغوية هو النقيض للبعد(ينيظر،ابن منظور ، ٦٦٢/١) إذ إن القريب هوالداني في المكان والزمان أو النسب (ينظر : عبد المعطي ، ٢٠٠٥، ٧٢٣). فضلا عن ذلك فإن "البعد ضد القرب وليس لهما حد محدود، وإنما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره يقال ذلك في المحسوس وهو الأكثر " (الأصفهاني ، ٣٩٨) إذا هذه الثنائية الضدية التي تتجاذب فيها المشاعر بين قريب وبعيد التي يجمعها الشاعر في مرات عديدة في نصص واحد أو في بيت واحد حسب الحالة النفسية التي استدعت الشاعر للتعبير عن مشاعره وفق ثنائية القرب والبعد من هذا قوله: (عبد الحميد ،١٩٥٢ ، ٨٤)

أمِن آلِ نُعـمٍ أنت غـادٍ فمُبـكرُ غـــــداةَ غدٍ أم رائحٌ فمـــــهجّرُ
لــحاجةِ نفسٍ لم تقلْ في جوابِها فتبلغَ عـــــذرا، والمقالـــــةُ تعـذرُ
أهيمُ إلى نُعمٍ : فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبل موصولٌ، ولا القلبُ مقصرُ
ولا قربُ نعمٍ إن دنتْ لك نافــعٌ ولا نأيها يسلــي، ولا أنت تصــــــبرُ

تبرز الثنائيات الضدية في هذه الأبيات من خلال شعرية النص الذي أنتج صور مولدة لهذه الثنائيات، ويلعب الجانب الغزلي في النص بوصفه العنصر الأقوى الذي يحكم طرفي المعادلة، والذي يجسد الرؤية الشمولية التامة القابعة في وعي الشاعر، إذ هو يجري عملية موازنة بين البعد والقرب(دنت، نأيها)هذه الثنائية هي المنطلق الذي بنى الشاعر النص عليها ، وصاغ أبياته في تقديم مقدمات عن (نُعم) فسخر لهذا عناصر الوقت والزمان (غاد فمبكر، رائح فمهجر) فيثير التساؤلات التي تجتذب المتلقي غلى ما يريد الشاعر وتثير الفضول لديه، ثم يثير الشك مرة ثانية في المتلقي من خلال تقديم مجهولات للغاية من الرحلة، فعللها بقوله (حاجة نفس لم تقل جوابها)، هنا استكمل الشاعر تساؤلاته التي طرحها لتأتي بعد ذلك عاصفة من المشاعر الجياشة المحكومة بصراع القرب والبعد ،إذ يحيله هذا الصراع إلى الهيام، ليستحيل الهيل إلى ضياع ثان من خلال لا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر، هذا النص

بأكمله يحيلنا إلى صورة ثنائية ضبابية مشوشة تتساوى فيها جميع الخيارات فنُعم لا قربها ولا دنوها ينفع، ولا نأيها يسلي، ولا هو يصبر، لتكون مجموعة مفتوحة من الثنائيات الضدية التي تحتشد في نص واحد، تعمل على تشتت وتشظي النص .

فضلا عن ذلك نجد الصراع يلعب دورا مهما في توجيه الثنائيات الضدية في النص، إذ إن حالة التصادم في عواطف الشاعر الموزعة بين القرب والبعد تجعل الأفكار عبارة عن تداعيات مستمرة، إذ يقول : (عبد الحميد ، ١٠١_ ١٠٢)

يقولُ عتيقٌ إذ شكـــوتُ صبابتي وبَيَّنَ داءٌ مـــن فؤادي مخامِرُ
أحقا لئن دارُ الرباب تباعـــدت أو انبـتَّ حبـــلٌ أنَّ قلبـكَ طائرُ
أفق قد أفاق العاشقونَ وفارقوا ال الهوى واستمرتْ بالرجالِ المرائرُ
زَعِ القلب واستبقِ الحياء ؛ فإنما تباعدُ أو تُدني الربابَ المقـــادرُ
فإن كُنتَ عُلّقتَ الرباب فلا تكـنْ أحاديثَ من يبدو ومن هو حاضرُ

تتجسد الثنائيات الضدية في النص الشعري من خلال طرح الشاعر لكل معاني والفاظ البعد والقرب(بين داء، مخامر، دار الرباب تباعدت، أنبت حبل، فارقوا، تباعد، تدني)، وجدنا في النص السابق أن الشاعر أجرى موازنة بين القرب والبعد إذ لم يرجح كفة أي من الثنائية، لكننا نجد في هذا النص أن ثنائية البعد قد طغت على القرب، إذ جاءت صبابة الشاعر في النص لتعكس لنا حالة عدم الاستقرار النفسي التي سيطر البعد أو معاني البعد على كافة مفاصلها لتظهر لنا المفردات وبوعي منه أن البعد هو الكابوس العاطفي الذي يؤرقه، إذا نظرنا جيدا في النص نجد أن القرب فقط جاء بلفظة واحدة خجولة (تدني الرباب) وحتى هذا القرب مشروط بـ(زع القلب واستبق الحياء) أي كفه ومشروط بقرينة ثانية هي تباعد أو تدني، فالقرب مع هذا محكوم من بدايته بقالب البعد.

فضلا عن ذلك إن النصوص الشعرية تأتي مشحونة ومحملة بمدٍ عاطفي كبير تتجاذبه ثنائية القرب والبعد وغالبا ما تنتهي من حيث بدأت فيقول : (عبد الحميد ، ١٢١_ ١٢٢)

نُعـــمُ الفؤادِ مزارُها محظُورُ بعـــدَ الصفاءِ وبيتُها مهجورُ
لجَّ البـــعادُ بها وشطَّ بركبها نائي المحلِّ عن الصديقِ غيورُ
حَذِرٌ قليـــلُ النوم ذو قاذورةٍ فطـــــنٌ بألبابِ الرجالِ بصيرُ
لم يُنسني ما قد لقيتُ، ونأيُها عني وأشغـــالٌ عـــدتْ وأمورُ
ممشـــى وليدتها إليَّ وقد دنا من فُرقتي يوم الـــفراقِ بكـــورُ
ومفيضَ عبرتها ومومى كفها ورداءُ عصـــــبٍ بيننا منشورُ
أن أرجِ رحلتكَ الغداةَ إلى غدٍ وثواءُ يـــــــوم إن ثويتَ يسيرُ

مهما حاول القارئ أن يوسع من آفاق رؤيته للنص، ومحاولته لقراءة النص من زواية مختلفة ؛تبقى تلك الرؤية معتمدة على ثنائية القرب والبعد التي تساعد على تكثيف وتصوير تلك الأحاسيس وبلورتها بصورة واضحة .

إذ إن تركيز الشاعر لمشاعره وشعور بالحرمان ولوعة الفراق جعلت من حضور هذه الثنائية ملازما للكثير من نصوصه الشعرية من خلال ورود الألفاظ التي تدل على الفراق (مزارها محظور،بيتها مهجور، لج البعاد، نائي المحل، نأيها عني، فرقتي، يوم الفراق، رحلتك) وفي المقابل جاءت مفردة (دنا) التي تدل على القرب وهي تشكل بؤرة النص ومركزه الشعري جاءت مشحونة بطابع الأسى، لتبين وتجسد حجم هذا الشعور وتأثيره على نفسه . فجاء مد البعد ولوعته أكبر بكثير من جزر القرب وحلاوته.

ـ الظهور والخفاء:

إن الظهور في مفهومها اللغوي يأتي بنفس المعاني عند الجميع، إذ تأتي بمعنى القوة والبروز، فظهر الشي ظهورا، أي تبين وبرز واتضح (القزويني، ٣/ ٤٧١) فالظهور يأتي بمعنى أنكشف وبان وبرز وتبين بعد الخفاء (عبد المعطي ، ٥٧٨) وفق هذه التعريفات يكون الظهور في حقيقته اللغوية هو الانكشاف والبروز وهو نقيض التخفي أو الخفاء.

أما الخفاء فيحمل دلالات ومعان عديدة متعددة إذ " الأول الستر، والثاني الإظهار، فالأول خفي الشيء يخفى ؛ وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته. ويقولون : برح الخفاء، أي وضح السر وبدا ... والأصل الآخر خفا البرق خفوا، إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف . ويقال خفيت (الشيء) بغير ألفٍ، إذا أظهرته" (القزويني ، ٢/ ٢٠٢)والشيء اذا استتر او اختفى وتوارى عن الأنظار ولم يظهر للعيان (مختار ، ٢٠٠٨، ٦٧٣).

فضلا عن ذلك إن المعنى الاصطلاحي لا يخرج كثيرا في معناه عن المعنى اللغوي بمعنى التخفي وعدم الاظهار .

تأتي هذه الثنائية في شعر عمر بن ابي ربيعة بصورة واضحة من خلال لغته الشعرية التي شكلت الحضور العيني الواضح في النص فيقول : (عبد الحميد ، ٩٢)

فقالت لأختيها :أعينا على فتىً ... أتى زائراً، والأمرُ للأمـــر يقدرُ
فأقبلتا فأرتاَعَتا ثـــــم قالتاَ ... أقلي عليك اللوم فالخطبُ أيسرُ
فقالت لها الصُّغرى : سأعطيه مُطرَفي ... ودرعي، وهذا البُردَ إن كان يحذرُ
يقـــوم فيمشـــي بيننا متنـــكراً ... فلا سِرُنا يفشـــو، ولا هو يظهرُ
فكـــــانَ مجنِّي دون من كنت أتقِى ... ثلاث شخـــوص كاعبان ومعصِرُ
فلما أجزنَا ساحـــــةَ الحيَّ قلنَ لي ... أمـــــا تتقِى الأعداءَ والليلُ مُقمرُ
وقلنَ : أهذا دأبكَ الدهر ســـــادرا ... أمـــا تستحي أو ترعوي أو تفكرُ

تتضح في هذا النص ثنائية الخفاء والحضور وهي تتنازع النص وتجعله في توثب مستمر ودائم، إذ تتعاضد الثنائي بدون تدخل الصراع بينهما بل تأتي متعاضدة في تشكيل فكرة موحدة فالحضور تجلى في (أتى زائرا، أقبلتا، يمشي بيننا، يظهر، ثلاث شخوص، تتقي الأعداء) أما الخفاء (يحذر، متنكرا، سِرنا، تتقِى، الليل) وفق هذا الثنائيات يظهر الشاعر وهو مسلوب الأرادة يتنازعه الحضور والخفاء للخلاص ممن يتربصون له، فتأتي الحركة والسكون والحوار بيد المرأة. تتولد في النص حركة تجاذب بفعل الكثير من أدوات التعبير التي أظهرها الشاعر جراء الأدوات الحركية في النص الموزعة بين خفاء وظهور تمارسه الأخوات وهنَّ تصيغ حركات وفق هذه الثنائية فتنفتح على الآفاق مختلفة، مما تثير تساؤلات لدى المتلقي بأن نفس الشاعر محكومة بالقلق والاضطراب وعدم الهدوء والسكون الوجداني .

ولا تغيب ثنائية الظهور والغياب عن مخيلة الشاعر، هو يمزجها بكامل كيانها ومفرداتها بالشوق والعبث تارة وبالحب واللهو تارة أخرى فيقول واصفا إحدى مغامراته العاطفية: (عبد الحميد ٩٧_ ٩٨)

شكوتُ إلـــى بكرٍ وقد حالَ دونها منيفٌ متى ينصب له الطرف يحسرِ
فقلتُ:أشِر،قال:ائتمر أنت مؤيسٌ ولم يكـــبروا فوتاً فمـــا شئت فأمر
فقلت: انطلق نتبعهمُ؛ إنَّ نظرةً إليهـــم شفاءٌ للفـــــؤاد المُضـــمرِ
فرُحـنا وقلنا للغلامِ اقض حاجة لنـــا ثـــمَّ ادركـــنا ولا تـــــتغبَّر
سراعًا نَغُمُّ الطير إن سنحت لنا وإن يلقـــنا الرُّكـــبانُ لا نتـــخبرِ
فلما أضـــاء الفجرُ عنا بدا لنا ذرا النخل والقـصر الذي دون عزور
فقلت:اعتزل ذل الطريق ؛ فإننا متـــــــى نُرى تعـرفنا العيون فنُشهرِ
فظِلنا لدى العَصلاءتلفحُنا الصبا وظلتْ مطـــــايانا بغـــــير معصر

جسد الشاعر في هذا النص الثنائية الضدية بصورة واضحة دقيقة وموضوعية تامة، فالشاعر في نصه تارة يمارس الخفاء ويجسده شعريا وواقعيا في النص، وتارة أخرى يلجأ إلى الظهور ويخوض فيه غمار تجاربه العاطفية المختلفة، من خلال هذه الثنائية تنبثق لنا الفلسفة والرؤية الفنية للشاعر. فضلا عن هذا نجد الخفاء متمازجا مع السياق العام للقصيدة من خلال (حال دونهم، منيف، يحسر، مضمر، نغم الطير، لا نتخبر، ذل الطريق) وفي المقابل الثاني نجد أن الظهور لا يقل شأنا في النص عن الخفاء (الطرف، نظرة إليهم، يلقانا الركبان، بدا لنا، ذرا النخل، نرى، فنشتهر) إن التنافس بين الظهور والخفاء في النص ينتج عنه الألق في المعنى والجمالية الفنية والتكثيف وتشظي الذات بين الثنائيات المختلفة.

وتأتي الثنائية في نصوص الشاعر وهي تمتزج بالذات فتكون الذات الشاعر بين خفاء وظهور، يقول في قصيدة له: (عبد الحميد ، ١٠٤ _١٠٥)

أنت المنى وحـــديثُ النفس خاليةً وفي الجميع، وأنت السمع والبصر
يا ليت من لاَمنا في الحبِّ مر به مما نلاقي وإن لم نُحصـــه العُشُرُ

حتـــــى يـذوقَ كما ذُقنا فيمنعهُ مما يلذُّ حديثُ النـــــفسِ والسهرُ
دسَّتْ إلـــــى رسولا لا تكنْ فرقا واحذر وُقيتَ وأمـــرُ الحازم الحذر
إني سمعتُ رجالاً من ذوي رحمي هم العــدوُّ بظهر الغيبِ قد نذروا
أن يقتلـــــوكَ وقاكَ القتل قادرُهُ واللهُ جـــــاركَ مما أجمعَ النفرُ
الســـــــر يكتمهُ الثنان بينهما وكل ســـــرٍ عدا الاثنين منتشرُ
والمرءُ إن هـو لم يرقب بصبوته لمح العيــون بسوءٍ الظن يشتهر

إن استخدام الشاعر للثنائيات الضدية لا يأتي بصورة اعتباطية مجردة من الغاية التي يحاول إيصالها للمتلقي، فالتفاعل بين الذات و ثنائية الخفاء والظهور ينتج عنه الإبداع على المستوى الفكري للنص، إذ تتبلور وتتكون صورة كاملة لسيطرة الشاعر على الذات من خلال تطويعها في الخفاء مرة والظهور مرة اخرى، فتكون ذاته ملتصقة بالشعر يصيغها كما يشاء وفق رؤية واضحة للمتلقي، أما الخفاء الذي مارسه مع ذاته فتتضح من خلال (حديث النفس خالية) هنا تختفي الذات فيلجأ إلى المونولوج أي حديث الروح وهي خالية، ومع هذا الخفاء الذي يمارسه الشاعر يعاود الحضور، وفق مفردة (الجميع) فتتشكل رؤية جديدة مبنية على أساس المعادلة والموازنة؛ ليقول للقارئ هي المُنى في نفسي وهي خالية، وهي المُنى بيبن الجميع أي وسط الناس كلهم، فتساوت الثنائية عن طريق الذات ومن خلال اللغة أجاب عن تساؤلاته. يكمل الشاعر نصه وفق السياق العام الذي شكله من بداية النص الشعري، يستمر الخفاء مرة ثانية (حديث النفس، السهر، ظهر الغيب، السر، يكتمه)،وفي المقابل لا يسلم الشاعر ذاته كاملة للخفاء وينسى الظهور، إذ يعاود الظهور وبقوة لا تقل عن الخفاء، وكأن هذا التلاطم بين أمواج الخفاء والظهور هي محاولة تسلم المتلقي إلى التيه في أفق الضدية المتعاكسة،الصادرة من مفردات النصوص التي تحقق الجمالية الشعرية، وتشكل هذه الثنائية وسيلة جذب مهمة للمتلقي وهو يرى الشاعر يناغم أصوات حروفه ومفرداته.

الضوء والظلام :

شغل الضوء والظلام مساحة كبيرة من شعر الشعراء ونتاجهم، إذ يمثل الضوء النهار ويمثل الظلام الليل، فلا نجد شاعر يخلو شعره من هذه الثنائية المتلازمة الدائمة في الشعر، فالنهار سمي نهارا بسبب ضوء الفجر الذي يجري مثل النهر في جريانه من الشرق باتجاه الغرب، أما الليل فسمي ليلا، لأنه يُلالي بالأشخاص حتى يشك الناظر في الشيء، فالنهار في اللغة يمثل الضوء والليل يمثل الظلمة (ينظر : ابن منظور ١٩٩٨، ١/ ٥)، من هذا المنطلق جاء الضوء والظلام بكثر في الدووين الشعرية فالضوء في الغالب يشير الى الخير والصلاح بعكس الليل الذي يمثل الخوف والشر بل يمثل المجهول (ينظر ، سويدان ، ١٩٩٨، ٥٢) فضلا عن ذلك في كثير من الأحيان تتبادل الأدوار فيصبح الظلام نورا

وبالعكس النور ظلاما (الديوب ، ٤٤)، إذ إن هذه الثنائية من الثنائيات القارة في ذهن القارئ لما تحمله من الدلالات الكثير التي تعطي للشاعر الحرية في صياغة نصوصه الشعرية .

يمتزج الضوء والظلام مع الديار وآثارها الدراسة، فتكون لهذه الثنائية تأثيرا كبيرا من خلال المعاني التي تتشضى إليه، فتكون هذه المعاني للقارئ بمثابة سباق للمسافات الطويلة يجب عليها الوصول فيها إلى نهايتها فيقول الشاعر : (عبد الحميد ، ١٠٣)

منازلُ الحيَّ أقــوت بعد ساكنها أمســتْ ترود بها الغزلانُ والبقرُ

تبدلـــــــوا بـــعدها داراً وغيرها صرفُ الزمــانِ، وفي تكراره غيرُ

وقفتُ فيـــها طويلاً كيْ أسائلها والدارُ ليس لـــها علمٌ ولا خبرُ

دارُ قادنـــــــــي حينٌ لرؤيتها وقد يقودُ إلى الحين الفتى القدرُ

خودٌ تضيءُ ظلام البيت صورتها كما يضيءُ ظلامَ الحندسِ القمرُ

مجدولة الخلقِ لم توضع مناكبها ملْءُ، أُلوفٌ، جيبـــــــها عطرُ

تتجلى صورة الضوء والظلام الجمالية في النص من خلال المفردات التي تدل على الضوء والظلمة(تضيء، ظلام، يظيء، الحندس، القمر)، هذه الثنائيات تعمل على رفع الانفعال الشعوري للقارئ، إذ ربط الشاعر بحرفية كبيرة بين المنازل التي(أقوت)وماتت، وبين الظلام وما يثيره من شعور بالخوف، وما يحمله من مواجع وهموم، فجاء انعكاس الظلام على ساكني المنازل وهي خاوية بفعل الزمان الذي غيرها، بعد هذا التوظيف للظلام لا بد من استحضار الضوء ليكون بمثابة التوازن من الممكن أن يبعثه في نفس القارئ، فجاء الضوء على هيئة (خود) أمرة شابة صغيرة ناعمة قادرة على انبعاث الضوء في البيت، هذه المرأة هي الحياة التي تدب في تلك المنازل التي أقفرت، فقدم الشاعر بمقدمة الظلام والقفر والديار الخاوية لتكون هذه الثنائية للموازنة بين ظلام يعني موت الديار وبين ضوء يدل على الحياة ومتمثلة بصور أمرة تجلو ظلمة الليل البهيم كما يفعل ضوء القمر في الظلام الدامس.

وقد يتساوى الضوء والظلام في التوظيف، عندما تأتي هذه الثنائية ممتزجة مع الجانب النفسي، فلا يصنع الشاعر دلالات متعددة أمام القارئ، بل يقدم دلالة واحدة، فيصور كل ما يجول في خاطره، إذ لا تخرج دلالته عن الجانب الرومانسي الحسي فيقول: (عبد الحميد ، ١٢٦_ ١٢٧)

ذكرتني الديـــــارُ نُعماً وأتراباً حِســاناً نـــــواعماً كالصوار

آنساتٍ مثـــــل التماثيل لُسعا مـــــــع خودٍ خريدةٍ معطار

ومقاما قـــــــد قمتهُ مع نُعمٍ وحديثاً مثل الجنى المشتار

تتقي العين تحت عينٍ سجومٍ وبلُـها في دجى الدُجنةِ سار

واكتننَّا بردينِ من جيدِ العصبِ معـــــــاً بين مُطرفٍ وشعارِ

بتُّ فـــــي نعمةٍ وبات وسادِى مِعصـــــــماً بين دُملج وسوارِ

ثم إن الصـــــباح لاحَ ولاحت أنجمُ الصُبح مثل جزعِ العذارى
فنهضنا نمشـــي نُعفى بُرُودا ومُرُوطا وهــناً علـــــى الآثارِ
وتولى نواعـــــــمٌ خفــراتٌ يتهادينَ كـــــالضباءِ السوارِى

يصور الشاعر في هذا النص كل ما يعيشه ويعاينه في حياته اليومية، ليأتي الضوء والظلام فيه ممزوجا بلهوه ومغامراته، فتكون هذه الثنائية وسيلته الرومانسية في التصوير الفوتوغرافي، والظلام(دجى الدجنة) الوسيلة التي تقدم الجانب الحسي في الأبيات، والتي تعبر عن العلاقة المرهفة للشاعر مع الديار التي ذكرته ب(نُعم)،إذ عالج الظلام في هذا النص مشاعره الحسية بصورة بحتة مقدما من خلاله كل ما تنوء به نفسه من مشاعر وعواطف ومكبوتات .

ولا يقل الضوء في جانبه العاطفي الحسي عن الظلام، فبعد أن بات الشاعر في نعمة ووسادته معصمها، يأتي الضوء فيثير فيه الأحاسيس اكثر مما أثاره الليل (الصباح لاح، لاحت أنجم الصبح) تشبه الجزع، والمقصود بالجزع " خرز فيه أسود وأبيض" (عبد الحميد ١٢٧)، هذا الضوء جاء البداية ليوم جديد من طقوسه الرومانسية، إذ جاء الضوء ليكون عاملا ومنبعا مهما في لغته الشعرية التي نجم عنها هذه الرؤية،وفق هذا النص تظهر الثنائية بصورة متوافقة وعلى وتيرة واحدة من المعاني، متحدة مع الجانب الروحي والنفسي للشاعر.

وغالبا ما يطوع الشاعر الضوء والظلام في سبيل تحقيق غايته أو إرضاء لرغباته، فالليل والنهار عنده عبارة عن مساحة كبيرة وحرية مطلقة يمارس فيها لهوه بعيدا عن أعين الحاسدين، إلا أن الغريب في هذه الثنائية أنها جاءت في أغلبها على لسان المرأة وهي تتمنى وتطلب الليل ليطول والنهار أن يقصر، ويظهر فيها الشاعر بمظهر المعشوق وهو لا يتحرك ولا يتمنى تاركا الفعل كله للمرأة فيقول : (عبد الحميد ١٦٦_ ١٦٧)

وحــوراءَ آنســة كالهــلال رخواً مفاصـــلُها معصرا
وأخرى تفدى وتدعـــو لنا إذا خافت العين أن تُسترا
سمـــونَ يقلن : ألا ليتـنا نرى ليلـــنا دائما أشهرا
ويغفلُ ذا الناسُ عن لهونا ونسمـــرهُ كلـــهُ مُقمرا
غفلنَ عن الليل حتى بدت تباشير من واضحٍ أشقرا
وقمــنَ يعفيـــــن آثارنا بأكسية الخزِّ أن تُـــقفرا
وقُمنَ يقلنَ لو أن النهــار مُدَّ له الليل فاستـــأخرا
لقينا به بعض ما نشتهي وكان الحديث به أسورا

في هذا النص يطوع الشاعر وفق صياغة لغوية وحرفية عالية الضوء والظلام في خدمة لهوه ومجونه، جاعلا من التماثل بين الظلام والضوء المثير الذي يشد القارئ إلى ساحة وأفق النص المنفتحة على دلالات كثيرة، إذ يتجاوز الشاعر معضلة الظلام، أو الليل التي في الغالب تكون مصدرا للخوف، والقلق للشعراء، وكثيرا ما أرعبهم الليل وطوله، حتى تمنوا أن يقصر طوله وينتهي، إلا أن الشاعر في هذا النص طوع الليل وشكله تشكيلا بصريا، ليجعل منه غطاء لسمره ومغامراته ومنتهى أمنياته. لو وقفنا على الثنائية الضدية في النص لوجدنا أن الظلام والضوء قد توزعا بكامل معانيهما ومفرداتهما على مفاصل النص (كالهلال، ليلنا، مقمرا، الليل، واضح اشقرا، النهار، مد له الليل) هذا التوظيف للثنائية يأتي لإرضاء المشاعر الجامحة أتجاه المرأة، هو يمزج بين المرأة وأمنياتها _ ليت ليلنا أشهرا _ لتزداد اللذة، وتنتهي عندما يخالط الضوء الظلام، وتبدو تباشير الصباح، في هذا النص يغذي الجانب الأنثوي الحسي مشكلا منها صورة شعرية لا تقف على مدلول واحد بل مدلولات مختلفة يستحضرها القارئ.

خاتمة البحث:

- تشكل الثنائيات الضدية في شعر عمر بن أبي ربيعة العامل المهم والمنبع الثر في نصوصه الشعرية وفي أدواته على المستوى الفني والإبداعي، إذ قلما نجد قصيدة تخلو من هذه الثنائيات.
- استحضار الشاعر للثنائيات الضدية في شعر عمر بن أبي ربيعة نَجمَ عنه التألق في المعنى والتطور الهام في الشعر على المستوى الفني والفلسفي.
- كشفت هذه الثنائيات عن قدرة الشاعر وعن التجربة الفنية الشعرية، فظهر متمكننا من الأدوات والآليات الشعرية المختلفة.
- مثلت المرأة الباعث النفسي في خلق الثنائيات الضدية عن طريق الوصل والهجر والقرب والبعد والحب والكره.
- كونت الديار والمنازل المندثرة بعدا ومحورا فنيا يمثل مرحلة من مراحل حياته، شاركته هذه المنازل الأحزان والأفراح واللهو والسمر .
- تشير الثنائيات الضدية في شعر عمر بن أبي ربيعة إلى أثر الحب في حياته، وكيفية التوجه العاطفي بحسب بعد وقرب الحبيب، الذي غالبا ما كان ممزوجا بالجانب الحسي .
- جاءت الأفكار عند الشاعر متضادة في جوانبها المتعددة من قصائده، إذ جاءت معبرة عن الجانب النفسي والعاطفي .
- استخدام الشاعر لثنائية القرب والبعد والمزاوجة بينهم في النص حتى تتساوى في بعض نصوصه المسافات فيصبح القرب بعيدا , والبعيد قريبا .

- وظف الشاعر عمر بن ابي ربيعة ثنائية الظهور والخفاء، لتكوين أنساقا ودلالات مختلفة تمنحه الحرية في الصياغة الشعرية، فيظهر الخفاء ليكون الغطاء المثالي اللفظي على المستوى اللغوي والمعنوي وعلى المستوى الواقعي .
- وظف الشاعر الضوء والظلام في نصوصه الشعرية توظيفا كبيرا نابعا من حاجته الشعرية، فجاء استعمال الليل والنهار والظلام والنور لديه متوافقا مع السياق العام للقصيدة، مستغلا أياها في وصف المرأة وتأزمها العاطفي والنفسي.

References

_ Abadi, Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouz, 2008, The Ocean Dictionary, edited by the Heritage Library at Al-Resala Foundation under the supervision of Muhammad Naim, Beirut - Lebanon, 5th edition.

Ibn Manzur, The Egyptian African, 1955, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, Lebanon. _

_ Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad, 1998, Al-Azhar's Prose in Night and Day, printed in Al-Jawa'ib Press, Constantinople, 1st edition.

_ Abu Deeb, Dr. Kamal, 1986, Convincing Visions Towards a Structural Approach in the Study of Pre-Islamic Poetry, Egyptian General Book Authority.

_ Al-Isfahani, Al-Ragheb, Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an, edited by: Muhammad Saeed Al-Kilani, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon.

_ Bin Jaafar, Qudama, Criticism of Poetry, edited by Muhammad Abdel Moneim Khafaja, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

_ Al-Takriti, Naji, 1979, Platonic Moral Philosophy among Islamic Thinkers, Dar Al-Andalus for Printing and Publishing, Baghdad University helped publish it, 1st edition.

_ Al-Tahwani, Muhammad Ali, 1996, Kashaf Encyclopedia of Arts and Sciences Terminology, edited by Dr. Ali Al-Tahwani and investigation by Dr. Ali Dahrouj, Lebanon Publishers Library, 1st edition.

Al-Jahiz, Abu Bishr Amr bin Othman, 2017, Advantages and Opposites, Hindawi Foundation. _

_ Al-Jahiz, Abu Bishr Amr bin Othman bin Bahr, 1965, Book of Animals, edited by: Abdul Salam Haroun, 2nd edition.

_ Hassan, Musarea, 2005, Components of human nature throughout history and the position of Islam towards man, Dar Al-Yaqout for Printing and Publishing, 2nd edition.

_ De Saussure, Ferdinand, 1985, General Linguistics, translated by Dr. Yoel Joseph, reviewed by Dr. Malik Youssef Al-Muttalabi, Dar Afaq Arabia, Baghdad.

- Al-Dayoub, Samir, 2017, "Opposite Binaries," Research into the Term and Its Connotations, Islamic Center for Strategic Studies, Al-Abbas Holy Shrine, 1st edition.

_ Zaghloul, Muhammad Salam, 1982, The History of Literary Criticism and Rhetoric until the Fourt _Salibya, Jamil, 1994, The Philosophical Dictionary, Lebanese House of Books.h Century AH, Alexandria Ma'arif Institute, Cairo.

_ Swaidan, Sami, 1989, on the Arabic poetic text, methodological approaches, Dar Al-Adab, Beirut, Lebanon, 1st edition.

_ Abdul Muttalib, Dr. Muhammad, 1995, Building Style in Modernist Poetry, Badi'i Formation, Dar Al-Ma'arif, 2nd edition.

_ Abdel Muti, Shaaban, 1972, The Intermediate Dictionary, Arabic Language Academy, Cairo, 2nd edition.

_ Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed, Kitab Al-Ain, edited by Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal House and Library.

_ Al-Fayoumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali, Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir by Al-Rafi'i, edited by Dr. Abdel Azim El-Shenawy, Dar Al-Maaref for Printing and Publishing, Nile Corniche, Cairo, 2nd edition.

_ Al-Qazwini, Ahmed bin Faris, 1979, Language Standards, edited by: Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr, Beirut.

_ Qatrab, Abu Ali Muhammad bin Al-Mustunir, 1984, The Book of Opposites, edited by Hanna Haddad, Dar Al-Ulum for Printing and Publishing, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, 1st edition.

_ Mukhtar, Ahmed Mukhtar Omar, 2008, Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Alam al-Kutub, Cairo, 1st edition.

_ Al-Munajjid, Muhammad Nour al-Din, 1999, The Contradiction in the Holy Qur'an between Theory and Practice, Dar Al-Fikr, Syria, Damascus.